الوجوه من العاشر إلى الثالث عشر في الرد على ادعاء أن القرآن من تأليف النبي

(1)

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ عادل محمد فتحي*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*adel.mater@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في الوجوه من العاشر إلى الثالث عشر في الرد على ادعاء أن القرآن من تأليف النبي**

**الكلمات المفتاحية : الأعمال ، العاقل ، الحق**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن الوجوه من العاشر إلى الثالث عشر في الرد على ادعاء أن القرآن من تأليف النبي**

1. **عنوان المقال**

**الوجه العاشر: أليس يكفي للحكم ببراءة الإنسان من عمل من الأعمال. أن يقوم من الطبيعة شاهد بعجزه المادي عن إنتاج ذلك العمل؟**

**فلينظر العاقل هل كان هذا النبي الأمي أهلًا بمقتضى وسائله العلمية لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية؟**

**سيقول الجهلاء من الملحدين: نعم، فقد كان له من ذكائه الفطري، وبصيرته النافذة ما يؤهله لإدراك الحق، والباطل من الآراء، وما يؤهله لإدراك الحسن، والقبيح من الأخلاق، وما يؤهله لإدراك الخير، والشر من الأفعال، حتى لو أن شيئًا في السماء تناله الفراسة، أو تلهمه الفطرة، أو توحي به الفكرة لتناوله النبي بفطرته السليمة، وعقله الكامل، وتأملاته الصادقة.**

**هكذا يقولون، وبهذا يدعون، وهنا نتساءل: هل كل ما في القرآن هو مما يستنبطه العقل والتفكير؟ هل كل ما في القرآن هو مما يدركه الوجدان والشعور؟ كلا، فطبيعة المعاني القرآنية ليست كلها مما يدرك بالذكاء، وصدق الفراسة؛ لأن منها أنباء الماضي، والحقائق الدينية الغيبية، وأنباء المستقبل.**

**وكل هذه الأمور لا تأتي لا بالفراسة، ولا بالفطرة، ولا بالفكرة بل لا بد فيها من تعليم، وتلقين، ووحي، وإخبار، ونتناول تلك الأمور بالتفصيل فيما يلي:**

**أولًا: أنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتلقي، والدراسة، وأفصل في ذلك، فأقول: في القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة، التي لا مجال فيها للذكاء، والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة، والتلقي، والتعلم، فماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق؟ وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع، أيقولون: إن التاريخ يمكن وضعه أيضًا بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى، فيقولون: إن محمدًا قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان؟ أو أنه ورث كتب الأولين، وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟**

**إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك؛ لأنهم معترفين مع العالم كله بأنه  لم يكن من أولئك، ولا من هؤلاء، قال تعالى: {ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ} [آل عمران: 44]، وقال تعالى: {ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ} [يوسف: 102]، وقال تعالى في سورة القصص: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} [القصص: 44]، وقال تعالى: {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [العنكبوت: 48]، وقال تعالى: {ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [هود: 49]، وقال تعالى: {ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} [يوسف: 3].**

**لا نقول: إن العلم بأسماء بعض الأنبياء، وبأسماء الأمم الماضية، وبمجمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عاد، وثمود، وطوفان نوح، وأشباه ذلك.**

**لا نقول: إن ذلك لم يصل إلى الأميين، فإن هذه المعلومات اليسيرة قلما تعزب عن أحد من أهل البدو، أو الحضر؛ لأنها مما توارثته الأجيال، وسارت به الأمثال.**

**وإنما كلامنا في التفاصيل الدقيقة، والكنوز المدفونة في بطون الكتب، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين، ولم يكن يعرفه إلا القليل من الدارسين.**

**وإنك لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محررًا في القرآن، فنرى مثلًا في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية، وفي القرآن أنهم {ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} [الكهف: 25]، وهذه السنون التسع هي فرق ما بين عدد السنون الشمسية، والقمرية.**

**فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب، ولا تحسب. نعم إنها لعجيبة حقًّا رجل أمي بين قوم أميين يحضر مشاهدهم، ويعيش معيشتهم مشغولًا برزق نفسه، وزوجه، وأولاده راعيًا بالأجر لا صلة له بالعلم والعلماء، يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته، وبما لم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، ويبدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في دفاترهم، أفي مثل هذا يقول القائلون: إنه استوحى عقله، واستلهم ضميره فألف ذلك الكلام؟!**

**أي منطق يسوغ أن يكون هذا نتيجة طبيعية لتلك الحياة الماضية للنبي ؟ إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال سر آخر يلتمس خارجًا عن حدود نفس النبي  وعن دائرة معلوماته القديمة. إنه الوحي إنه خبر السماء الذي يأتيه من الله . كذلك إذا انتقلنا إلى الكلام على الحقائق الدينية الغيبية، فكلنا يعلم أن الحقائق الغيبية لا سبيل للعقل إليها في حال من الأحوال.**

**إن غاية ما يجتنيه العقل من ثمرات بحثه المستقل في أمر الدين؛ هو أن يعلم أن فوق هذا العالم إلهًا قاهرًا دبَّرَه، ولم يخلقه باطلًا، بل وضعه على مقتضى الحكمة، والعدالة، ولا بد، وأن يعيده كرة أخرى لينال كل عامل جزاء عمله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.**

**هذا هو كل ما يناله العقل الكامل من أمر الدين، ولكن القرآن لا يقف عند هذه المرحلة، ولا ينتهي عند هذا الحد، بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة، ويصف لنا بدء الخلق ونهايته، ويصف الجنة وأنواع نعيمها، ويصف النار وألوان عذابها كأنهما رأي عين حتى إنه ليحصي عدد أبواب النار، ويحصي عدد الملائكة الموكلة بتلك الأبواب.**

**فعلى أي نظرية عقلية بنيت هذه الأوصاف التحديدية؟ إن ذلك ما لا يوحي به العقل البتة، بل هو إما باطل فيكون من وحي الخيال والتخييل، وإما حق فلا يكون إلا بالتعليم، والتلقين إنه الحق الذي شهدت به الكتب، واستيقنه أهلها قال تعالى: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ} [المدثر: 31]، وقال تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ} [الشورى: 52]، وقال تعالى: {ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [يونس: 37].**

**بعدما تكلمنا عن أخبار الأمم الماضية، وعن الحقائق الدينية الغيبية نتكلم عن أنباء المستقبل، فإن أنباء المستقبل قد تستنبط بالمقايسة الظنية -أي: بالقياس- لكنها لا سبيل فيها لليقين إلا بالوحي الصادق، وأفصل في ذلك، فأقول: هل تعرف كيف يحكم ذو العقل الكامل في النبوءات الغيبية؟ إنه يتخذ من تجاربه الماضية مصباحًا. يكشف على ضوئه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة جاعلًا الشاهد من هذه مقياسًا للغائب من تلك، ثم يصدر فيها حكمًا محاطًا بكل تحفظ وحذر قائلًا: ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو صارت الأمور على طبيعتها، ولم يقع ما ليس في الحسبان، أما إن يبت الحكم بتًّا، وأن يحدده تحديدًا حتى فيما لا تدل عليه مقدمة من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أمارة من الأمارات الظنية العادية.**

**فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين: إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول الناس فيه: صدق، أو كذب، وذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين، والمنجمين.**

**وإما رجل اتخذ عند الله عهدًا، فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين، ولا ثالث لهما إلا رجلًا روى أخباره عن واحد منهما.**

**فأي الرجلين تراه في مبلغ هذا القرآن؟ حينما يجيء على لسانه الخبر الجازم بما سيقع بعد عام، وما سيقع في أعوام، وما سيكون أبد الدهر، وما لن يكون أبد الدهر ذلك وهو لم يتعاط علم المعرفة والتنجيم، ولا كانت أخلاقه كأخلاقهم، ولا كانت أخباره كأخبارهم خليطًا من الصدق، والكذب، والصواب، والخطأ.**

**بل كان  مع براءته من علم الغيب، وقعوده عن طلبه، وتكلفه كان يجيئه عفوًا ما تعجز صروف الدهر، وتقلباته في الأحقاب المتطاولة أن تنقض حرفًا واحدًا مما ينبئ به ، قال تعالى: {ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} [فصلت: 41، 42].**

**ولنسرد هنا بعض النبوءات القرآنية مع بيان شيء من ملابساتها التاريخية؛ لنرى هل كانت مقدماتها القريبة، أو البعيدة حاضرة.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**